

أثر الفلسفة اليونانية على الفكر السياسي للفارابي

محمد طاهر منصوري

يعدّ أبو نصر محمد بن محمد طرخان الفارابي (٨٧٠ - ٩٥٠م) من أكبر الفلاسفة المسلمين والذي أنشأ مذهبا فلسفيا متكاملا وقام في العالم العربي بالدور الذي قام به أفلاطون في العالم الغربي وهو الذي أخذ منه ابن سينا وابن رشد وغيرهما من الفلاسفة. وقد لقب بحق بـ «المعلم الثاني» علي أن أرسطو هو «المعلم الأول» (١) وقد صدر عنه من المؤلفات الفلسفية السياسية أكثر مما صدر عن أي فيلسوف آخر من فلاسفة المسلمين . وقد كان له الفضل في شرح كتب أرسطو في المنطق وفي التوفيق بين آراء كل من أفلاطون وأرسطو كما تميز بالتوفيق بين الفكر اليوناني والفكر الاسلامي .

كان الفارابي من أبرز فلاسفة المسلمين تأثرا بالفلسفة اليونانية وتقليدا لها وخاصة بأفكار أفلاطون فيما يتعلق

بالدولة المثالية والحاكم الفيلسوف وكانت لأفلاطون رؤية عن دولة مثالية تتحقق فيها المثاليات العليا التي نادى بها أستاذه سقراط ونقد من خلالها الأوضاع القائمة بطريقة ضمنية. (٢) لقد شارك الفارابي أفلاطون نظريته ورؤيته عن دولة مثالية فجاء بفكرة (المدينة الفاضلة) أي الدولة التي تتحقق فيها السعادة . وفي واقع الأمر ليست هذه الفكرة إلا انعكاسا للواقع المضطرب وسوء الأوضاع السياسية التي عاشها الفارابي وقد دفعته الثورات والفتن الدينية والشعبية والسياسية في ظل الخلافة العباسية إلى المغالاة في الاتجاه المثالي وبالتالي التسامي عن هذا الواقع المرّ بعد أن وجد نفسه غير قادر على نقض الأوضاع بطريقة مباشرة .

لقد استفاد الفارابي من أفكار أرسطو أيضا وأخذ منه نظريته عن السعادة وجعلها محورا لكافة مفاهيمه ونظرياته السياسية وتناول موضوع السعادة في عديد من مؤلفاته حتى لقب (بفيلسوف السعادة) كما سمّي به أرسطو في العالم الغربي .

لقد وضّح الفارابي أفكاره السياسية في عدة مؤلفاته وأهمها :

(أ) آراء أهل المدينة الفاضلة (٣) .

(ب) تحصيل السعادة (٤) .

(ج) السياسة المدنية (٥) .

(د) فصول منتزعة (٦) .

وفي السطور الآتية نستعرض تأثير الفلسفة اليونانية على الفكر السياسي للفارابي وناقش دوره كحلقة وصل بين الفكر السياسي اليوناني والفكر الاسلامي مع الإشارة إلى أهم

مساهماته في الفكر السياسي .

أ - نشأة الدولة :

يشارك الفارابي الفيلسوف اليوناني أرسطو رأيه بأن الإنسان يميل بطبعه إلى الاجتماع بالآخرين وأن هذا ميل فطري فيه وذلك لأن الإنسان المفرد لا يستطيع تحصيل كماله بنفسه ومن ثم يحتاج إلى معاونة أناس آخرين ليتمكن من بلوغ كماله (٧) فيؤكد في كتاباته على ضرورة الاجتماع السياسي بالنسبة للفرد لا كغاية ولكن كوسيلة لتحقيق كماله ، وهذا الاجتماع ليس لمجرد سد حاجاته كما رأى أفلاطون ولكن لتحقيق الكمالات التي تحقق له السعادة وذلك باقتناء الفضائل المختلفة وتحقيق هذه السعادة لا يقتصر على سعادة دنيوية فحسب وإنما على سعادة أخروية أيضا ، وهنا نلمس اتجاهها روحيا ودينيا في أفكار الفارابي .

ب- الاجتماعات الإنسانية :

قسم الفارابي الاجتماعات الإنسانية إلى كاملة وغير كاملة ، فالاجتماعات الكاملة التي يمكن أن تتحقق فيها الفضيلة والسعادة هي :

أولا : العظمى على نطاق الجماعة الإنسانية في المعمورة كلها .

ثانيا : الوسطى على مستوى الأمة .

ثالثا : الصغرى على مستوى المدينة (المعمورة تضم أمما وكل من هذه تضم مدنا) أما غير الكاملة فتضم القرية التي اعتبرها خادمة للمدينة . ويرى الفارابي أن الكمال والفضيلة لا يتحققان في الوحدات التي هي أصغر من المدينة (٨) .

ومما يلاحظ أن تركيز الفارابي على المدينة كاجتماع انساني كامل انما هو انعكاس لتأثره بأفلاطون وأرسطو اللذين يريان أن دولة المدينة هي الوحدة السياسية الأمثل التي تتحقق فيها الفضيلة للإنسان (٩) .

ج- المدينة الفاضلة :

لقد وضح الفارابي في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » فكرته عن الدولة المثالية التي أخذها أصلاً من (الجمهورية) لأفلاطون وأطلق على هذه الدولة المثالية اسم (المدينة الفاضلة) . فالمدينة الفاضلة في نظر الفارابي هي « كل مدينة تتحقق فيها السعادة » (١٠) ففي قوله : « كل مدينة يمكن أن تنال بها السعادة هي مدينة فاضلة ، فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة . والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل والأمة التي تتعاون مدنها كلها لنيل ما تنال به السعادة هي الأمة الفاضلة وكذلك المعمورة الفاضلة إنما تكون إذا كانت الأمة التي فيها يتعاونون على بلوغ السعادة » (١١) .

فكأن السعادة هي جوهر مضمون المدينة الفاضلة والمعيار المميز لها حيثما السعادة هي الهدف المنشود فالمدينة فاضلة وإذا كان يقصد بالاجتماع في المدينة التعاون على الأشياء التي لا تنال بها السعادة الحقيقية ولكن «السعادة المظنونة» (١٢) فإن مثل هذه المدينة تكون غير فاضلة. ويقصد الفارابي بالسعادة المظنونة السعادة التي يحققها الإنسان باللذات الحسية البهيمية.

فهي ليست سعادة حقيقية في نظر الفارابي وانما هي

شقاء ليس بعده شقاء آخر . هذه الرؤية عن السعادة رؤية دينية خالصة تؤيدها عدة آيات قرآنية . فيقول الحق عزوجل ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (١٣) . ويذم اتباع الهوى فيقول : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ (١٤) .

إن السعادة الحقيقية في نظر الفارابي تتمثل في هجر اللذات الحسية ومفارقة الرغبات المادية وتحصيل السمو الروحي والكمال الأخلاقي . هي خير مطلق يحوي جميع الفضائل المعنوية من الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة . وهكذا ربط الفارابي بين السياسة وبين الأخلاق والفلسفة أسوة بفلاسفة اليونان القدامى . ومن الملاحظ أن أفلاطون خرج في نظريته السياسية بفلسفة أخلاقية وقرر أن ثمة فضائل أربع على التوالي وهي : الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة . وطبق هذه الفلسفة على الدولة وقرر أن الدولة إنما أنشئت لإيجاد هذه الفضائل في الأفراد (١٥) وأن الدولة المثالية يجب أن تكون حكيمة شجاعة عفيفة عادلة ومن هنا تصبح السياسة عند أفلاطون أخلاقا موسعة .

إن مفهوم الفارابي للسعادة يؤكد على الجانب الروحي المعنوي وليس المادي . وفي ذلك يقول الفارابي : « وذلك هو السعادة وهي أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلي حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة وذلك أن تصير نفس الإنسان في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام في جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وأن تبقى على تلك الحال دائما » (١٦) . ويعترف الفارابي بأن الفرد العادي بمفرده لا يستطيع أن

يدرك سبيل السعادة والطريق إليها فهو أيضاً يحتاج إلى من يرشده ويوجهه أي إلى الفضائل المعنوية ، « وهذا هو دور الحاكم الفاضل بما لديه من تفوق فكري وقدرة على الوصول إلى الحقائق وهو رئيس المدينة الفاضلة » (١٧). فواجب الفرد أن يعلم السعادة ودور الحاكم مساعدته في ذلك ولا تتحقق السعادة إلا في ظل المدينة الفاضلة .

ولو قارنا بين المدينة الفاضلة للفارابي والدولة المثالية لأفلاطون لوجدنا أن الأساس الفكري للدولة المثالية لأفلاطون هو « العدالة » التي يعتبرها أفلاطون أسمى الفضائل المعنوية. والعدالة في رأيه هي الفضيلة الأساسية للروح وبالتالي فالرجل العادل هو الأسعد والأحكم والأفضل والأقوى ، ففي قوله على لسان سقراط : « العدالة بالطبع هي أعلى الأشياء الطيبة التي يقدرها من يسعى وراء السعادة الحققة ، من أجل ذاتها ومن أجل نتائجها » .

لقد كان للحكماء والفلاسفة اليونانيين رؤية عن العدالة باعتبارها فضيلة معنوية عظيمة . وقد أورد أفلاطون عدة تعريفات متداولة للعدالة ثم ذكر قصورها أو نقصها ، ومن هذه التعريفات: (١٩) .

أولاً : « إن العدالة هي مصلحة الأقوى » وبالتالي تكون العدالة هي طاعة القوانين التي تصدرها النخبة الحاكمة .
 ثانياً : العدالة هي فعل الخير لأصدقائنا والضرر لأعدائنا .
 ثالثاً : العدالة هي قول الحق وردّ ما يأخذ الإنسان من غيره .
 رابعاً : العدالة أن نرد لكل إنسان ما هو ملك له .
 ويرى أفلاطون أن العدالة فضيلة عامة وخاصة فالعدالة في الفرد هي أن يوفق بين نزعاته وينمي النزعات السامية

ويحاول التغلب على النزعات الضارة . والعدالة في الدولة هي أن يتولى كل فرد العمل الذي تؤهله له طبيعته البشرية وقدراته الجسدية والذهنية . أما الدولة العادلة فهي التي تضع كل شخص في المكان المناسب الذي تؤهله له طبيعته ونزعاته . (٢٠) .

لقد تناول الفارابي مفهوم العدالة في المدينة الفاضلة إلا أنها لا تمثل أساساً فكرياً لهذه المدينة كما هو عند أفلاطون . يعتبر الفارابي السعادة كقوة تحافظ على أجزاء الدولة ومراتبها وتحقق تماسكها .

العدالة عند الفارابي تتمثل في جانبين متكاملين :

الأول : توزيعي ويتمثل في قسمة الخيرات المشتركة التي لأهل المدينة عليهم جميعاً . وهذه الخيرات لا تقتصر على النواحي المادية ولكن تتناول بالإضافة إلى هذا كافة الخيرات المعنوية مثل السلامة والكرامة وغيرها على أن يكون ذلك التوزيع على مدى استحقاق كل فرد .

أما الجانب الثاني : تصحيحي وتأميني ويتمثل في حفظ تلك الخيرات بعد توزيعها من أن تخرج من يد أصحابها إما إرادياً أو قهراً وإلا فيجب أن يعود للشخص أو للمدينة نصيبه مع عقاب المعتدي وتصحيحه .

د - الطبقات في المدينة الفاضلة :

لقد أكد الفارابي على أهمية النظام والتراتب الإجتماعي في المدينة حيث يرى أن هذا الترتيب والنظام هو أحد الأسس الجوهرية للتمييز بين المدن الفاضلة والمدن الجاهلية والضالة فالمدينة الفاضلة مقسمة إلى أجزاء وقائمة على مراتب ودرجات إنطلاقاً من قدرات الأفراد وبالتالي اختلاف

صلاحيتهم للقيام بالمهام . ومن الجدير بالذكر أن المراتب التي قسمت إليها المدينة لا ترجع لأساس اقتصادي ولكن ترجع لاختلاف وتدرج القوى العقلية عند الأفراد . فأجزاء المدينة الفاضلة أو الطبقات خمسة عند الفارابي: (٢١).

(١) الأفاضل : وهم الحكماء والمتعلقون وذووا الآراء في الأمور العظام وحملة الدين .

(٢) ذووا الألسنة : وهم الخطباء والبلغاء والشعراء والملحنون والكتاب ومن يجري مجراهم .

(٣) المقدرون : هم الحساب والمهندسون والأطباء والمنجمون ومن يجري مجراهم .

(٤) المجاهدون : هم المقاتلة والحفظة ومن يجري مجراهم .

(٥) المالئون : هم مكتسبوا الأموال في المدينة مثل الفلاحين والتجار .

ويلاحظ أن الفارابي أعطى للمجاهدين مرتبة دنيا ويفسر هذا بأنه انعكاس لدورهم السيء والسلبى في ظل الخلافة العباسية حيث لعب الجنود دورا أساسيا في الاضطراب وعدم الاستقرار للدولة ، وأكد على مكانة ذوى الألسنة وذلك تعبيرا عن الثراء الفكري الذي ساد عصره وعن مكانة هذه الفئة في العالم الإسلامي .

ويؤكد الفارابي على ضرورة التألف والتعاون بين هذه الطبقات فيقول : « كما أن البدن يؤلف وحدة فكذلك المدينة الفاضلة تكون مرتبطة أجزاؤها بعضها ببعض » (٢٢).

ومما يلاحظ أن الفكرة الطبقيّة أو نظام الترتيب الإجتماعي يشبه فكرة أفلاطون ونظرته إلى الدولة من نظرة النفس الإنسانية حيث رأى أن النفس الإنسانية تتكون من ثلاثة

نفوس جزئية : (٢٣) .

(١) النفس العاقلة ومركزها في العقل والدماغ .

(٢) النفس الغضبية ومركزها في الصدر .

(٣) النفس الشهوانية ومركزها في أسفل البطن .

وكما أن المعادن بعضها نفيس نادر كالذهب وشبه نفيس وأكثر توافرا كالفضة ورخيص متوافر مثل النحاس والحديد ، فإن طبائع الأفراد تختلف وتتباين مدى ندرتها أو نفاستها أو توافرها ورداءتها ، وعليه فإن أصحاب النفوس العاقلة أي أصحاب نزعة التفكير والحكمة يمثلون بنفاسة الذهب وأصحاب النفس الغضبية أي أصحاب نزعة غضبية وشجاعة يمثلون بالفضة ، أما أصحاب النفس الشهوانية أي أصحاب نزعة حب التملك فيمثلون بالنحاس والحديد . ويرى أفلاطون أن النفس الشهوانية أدنى النفوس ولها فضيلة سلبية هي العفة وجورها ضبط الشهوات ومحاربة الشطط والإسراف في الأهواء ونزع تعليق النفس بلذات الجسد تمهيدا لإدراك الحقيقة والخير. أما فضيلة النفس الغضبية فهي الشجاعة وجورها احتمال المكاره في سبيل إدراك الخير وفضيلة النفس العاقلة الحكمة التي وظيفتها التمييز بين أنواع الخير لتحقيق أسماها .

ويني أفلاطون على فكرة النفس الإنسانية المذكورة أنفا نظام الترتيب الاجتماعي في المجتمع . فيرى أن النفس كما تتكون من ثلاث طبقات ، يتكون المجتمع أيضا من ثلاث طبقات وهذه الطبقات الثلاث هي (٢٤) :

الأولى : طبقة الأوصياء وتمثل طبقة الحكام الفلاسفة وهم يمثلون نزعة العقل والتفكير والحكمة .

الثانية : طبقة المنتجين ، ويمثلها الصناع والتجار والزراع .

ويخصص أفلاطون لكل طبقة من هذه الطبقات فضيلة معينة ، فضيلة طبقة الفلاسفة الحكمة والعدالة وفضيلة طبقة المدافعين الشجاعة وفضيلة طبقة المنتجين العفة . أما العدالة فهي تقوم من الاتساق بين طبقات المجتمع الثلاث دون أي تدخل من طبقة في شؤون الطبقة أو الطبقتين الأخرين أي (التزام كل بعمله الخاص وعدم التدخل في شؤون غيره) وكما تخضع النفس الشهوانية للنفس الغضبية وتخضع هذه الأخيرة للنفس العاقلة كذلك فإن العمال يخضعون للمحاربين والمحاربون يطيعون الفلاسفة الحكام .

هـ - حكم الفلاسفة :

كان أفلاطون يرى أنه لا خلاص للعالم من مشاكله ولا سبيل لإسعاد الجنس البشري إلا إذا أعطيت إدارة دفة الحكم للفلاسفة لأنهم يتمتعون بالمعرفة اللازمة لتحقيق الفضيلة التي هي غاية كل مجتمع سياسي (٢٥) .

هذه الفكرة ينسبها علي مقولة شهيرة لسقراط وهي (الفضيلة معرفة) وعليه فإن الرجل الذي تتوافر لديه المعرفة يجب أن يستحوذ على سلطة نافذة في الحكومة وأن مؤهله الوحيد للوصول إلي السلطة هو المعرفة والتخصص وهو أساس المجتمع ويتوقف على الاستعداد الطبيعي والتدريب والأول موهبة والثاني مسألة خبرة وتعليم . والدولة تعمل على اكتشاف الموهبة وتنميتها بأحسن وسائل التعليم وبالتالي لا أمل في قيام الدولة الفاضلة ما لم توضع السلطة في أيدي من يعلمون . ويقترح أفلاطون أن تكون لهذا الحاكم سلطة مطلقة في الدولة لأنه يعرف ما هو خير للأفراد والدولة ولأن الدولة المثالية التي يسود فيها حكم الفيلسوف الأمر والنهي والحكم

فيها للمعرفة ولا حاجة فيها للقانون (٢٦) .

لقد تأثر الفارابي بفكرة الحاكم الفيلسوف التي جاء بها أفلاطون فطور الفكرة وأكد في كتاباته على أهمية الحاكم الفيلسوف في المدينة الفاضلة ووصفه بالعقل المفكر ومصدر الحياة والحركة بالنسبة للمدينة الفاضلة وشبهه بالقلب في الجسم الإنساني . ويرى الفارابي أن كل عضو من أعضاء المدينة الفاضلة يصلح أن يكون رئيسا لها ، بل إن رئيس المدينة هو أكمل إنسان أو عضو فيها . يقول الفارابي : « كما أن العضو الرئيسي في البدن بالطبع أكمل أعضائها وأتمها في نفسه ودونه أعضاء أخرى رئيسية لما دونها من الأعضاء ورئاستها دون رئاسة الأول (أي القلب) وتحت الأول ترأس ، كذلك رئيس المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه ودونه قوم مرؤوسون منه ويرأسون آخرين » (٢٧) .

ولا تتم رئاسة المدينة الفاضلة إلا لرئيس يجمع بين

شيئين :

أحدهما : بالفطرة والطبع .

والثاني : بالمملكة والإرادة (٢٨) .

وقد أوضح في كتابه (تحصيل السعادة) أن الرئيس الأول يتميز بقدرته على الاتصال بالعقل الفعال وهو أعلى منزلة من العقل الإنساني ويستفيد منه ، وبهذا الاتصال يقترب الإنسان من الله ، وقلة هم الذين يستطيعون ذلك وهم ممن وصلوا للصفاء الروحي والابتعاد عن المادة (٢٩) .

ويؤكد الفارابي على ضرورة تميز الرؤساء والملوك بالقوة الفكرية التي تمكنهم من استنباط ما هو خير وفاضل لشعوبهم مؤكدا على أن تلك القوة الفكرية لا تتوافر في أي

شخص عادي . فالمملوك في رأيه ليسوا ملوكا بالإرادة فقط ولكنهم ملوك ورؤساء بالطبيعة والملكات التي يمتلكونها . وفي نظر الفارابي هذه القوة الفكرية لا تتوفر إلا عند الأنبياء والفلاسفة فهم يصلحون رؤساء للمدينة الفاضلة وبذلك يخلع الفارابي على الحاكم معان دينية .

و- صفات رئيس المدينة الفاضلة :

لم يختلف الفارابي عن أفلاطون كثيرا في الشروط التي اشترطها لرئيس المدينة الفاضلة ، فشروطه تشبه الشروط التي وضعها أفلاطون لرئيس الدولة المثالية ؛ فيرى أفلاطون أن رئيس الدولة المثالية يجب أن يتحلى بالصفات الآتية (٣٠) :

- (١) حب المعرفة .
 - (٢) حب الوجود الخالد حبا كليا .
 - (٣) حب الصدق ومقت الكذب .
 - (٤) هجر اللذات الجسدية والهيام باللذات العقلية .
 - (٥) شدة القناعة والعفة والبعد عن الطمع .
 - (٦) نبذ كل ما هو وضيع وشرير ونبذ الجبن .
 - (٧) الزهد في الحياة الحاضرة وعدم هيب الموت .
 - (٨) سرعة الحاضر في التحصيل والتميز بذاكرة حافظة .
- وعلى يد أخري يرى الفارابي أن رئيس المدينة الفاضلة يجب أن تتوافر فيه خصائل آتية : (٣١)
- (١) أن يكون تام الأعضاء .
 - (٢) أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور ، جيد الحفظ لما يفهمه ويدركه .
 - (٣) أن يكون جيد الفطنة ذكيا إذا رأى الشيطان بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها الدليل .

- (٤) أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على إبانة كل ما يضمه
إبانة تامة .
- (٥) أن يكون محبًا للتعليم والاستفادة منقادا له سهل القبول لا
يؤلمه تعب التعليم .
- (٦) أن يكون غير شره على المأكل والمشروب والمنكوح
متجنبًا بالطبع للعب مبغضا للذات الكائنة عن هذه .
- (٧) أن يكون محبا للصدق وأهله مبغضا للكذب وأهله .
- (٨) أن يكون كبير النفس محبًا للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع عن
كل ما يشين من الأمور ، وتسمو نفسه إلى الأرفع منها .
- (٩) أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده .
- (١٠) أن يكون محبا للعدل وأهله مبغضا للجور والظلم وأهله .
- (١١) أن يكون عدلا غير صعب القياد ولا جموحا ولا لجوجا
إذا دعى إلى العدل ، بل صعب القياد إذا دعى إلى الجور
وإلى القبيح .
- (١٢) أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن
يفعل ، جسورا عليه ، مقدما ، غير خائف ولا ضعيف النفس .

وبهذا الشكل نجد تشابها كبيرا بين الصفات التي خلعتها
الفارابي على رئيس المدينة الفاضلة والصفات التي أضفاها
أفلاطون على الحاكم في دولته المثالية .

ز - مضادات المدينة الفاضلة :

لقد تكلم الفارابي عن النظم غير الفاضلة كما تكلم
عنها أفلاطون في (الجمهورية) . فحلل هذه النظم معرّفا كلا
منها على أساس موقفها من العادة القصوي فيقول : « المدينة
الفاضلة تضاد المدينة الجاهلية والمدينة الفاسقة والمدينة

المتبدلة والمدينة الضالة ويضادها أيضا من أفراد الناس نوابت المدن « (٣٢) .

ويوضح لنا الفارابي هذه المدن على النحو التالي :
(١) المدينة الجاهلة :

وهي المدينة التي « لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت لهم إن أرشدوا إليها لم يقيموها وإن ذكرت لهم لم يعتقدوها (٣٣) . فقوام هذه المدينة الحياة الحسية البهيمية من سلامة الأبدان والثراء والتمتع باللذات والتكريم والتفاخر . واجتماع هذه اللذات كلها تمثل سعادة عند أهل الجاهلية . ويقصد الفارابي بهذا الوصف المجتمعات الفاسدة التي نبذت الفضائل المعنوية والخلقية وراء ظهورها من أجل الانغماس في اللذات والشهوات الحسية وضلت سعيها في الحياة الدنيا وهي تحسب أنها تحسن صنعا وفيهم يقول الحق سبحانه تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ (٣٤) . وهناك أشكال مختلفة للمدن الجاهلية (٣٥) :

أولا : المدينة الضرورية :

وهي التي يقتصر أهلها على الضروري اللازم لقوام الأبدان من المأكل والمشرب والمسكن والزواج ، ويرى أهل هذه المدينة أن الدولة وجدت لإشباع هذه الحاجات فقط لا لغرض آخر .

ثانيا : المدينة البدالة :

وأهل هذه المدينة يتعاونون فيما بينهم لبلوغ اليسار والثروة كفاية في حد ذاتها .

ثالثا : مدينة الخسة والشقاوة :

ويهدف أهلها التمتع باللذة من المأكل والمشرب والتزواج .

رابعاً : مدينة الكرامة :

وهي التي يقصد أهلها أن يصيروا مكرّمين ممدوحين مشهورين فلذّتهم تكن في الشهرة والإعجاب بالنفس .
خامساً : مدينة التغلب :

وهي التي قصد أهلها أن يكونوا قاهرين لغيرهم مع الحرص على أن لا يقهروا من غيرهم . كأن لذّتهم في استعباد الآخرين .

سادساً : المدينة الجماعية :

وهي التي قصد أهلها أن يعيشوا في فوضى فيتبعوا أهوائهم ويتصرفوا كيف شاؤوا « ولكل واحد من أهلها مطلق مخلى نفسه يعمل ما يشاء وأهلها متساوون لا يكون لأحد منهم على أحد منهم سلطان » .

(٢) المدينة الفاسقة :

وهي المدينة التي علم أهلها السعادة وأسسها كما عرفها أهل المدينة الفاضلة فيعلمون الله عزوجل والعقل الفعال ولكن لا يعملون بما علموه . فقصورهم في العمل لا في العلم . وربما قصد منها الفارابي المجتمعات التي وصلتهم الدعوة الإسلامية ولكنها مصرّة على حياة الفسق والضلال .

(٣) المدينة المبدلة :

وهي المدينة التي كانت آراء أهلها وأفعالهم مثل آراء أهل المدينة الفاضلة . ثم تغيرت آراؤهم وأفعالهم فساد من بين أهلها زيف الآراء وفساد الأعمال والضلالات فحلت هذه محل تلك فصارت مدينة متبدلة وربما يشير الفارابي هنا إلى أهل الردة .

٤) المدينة الضالة :

وهي مدينة يسودها الضلال والخداع في الغرور وأهلها لا يعتقدون في الله ولا في العقل الفعال ، بل أنهم يذهبون إلى أن الله والعقل الفعال من ضمن الأفكار الفاسدة .

وبهذا الشكل جعل الفارابي صفة كل مدينة حسب موقفها من السعادة الحقيقية والمظنونة .

ومن جهة أخرى يرى أفلاطون أن أسوأ أنواع الحكومات هو ما يصفها بـ (الحكومة التموقراطية) أي الحكومة العسكرية التي تنزع إلى السيطرة وإحراز الشرف والانتصارات (٣٦) وتشبه هذه الحكومة مدينة التغلب عند الفارابي . ويليها في السوء والشر حكومة الأقلية الموسرة ويطلق عليها أفلاطون إسم (الحكومة الأوليجاريكية) وهي حكومة الإقطاعيين القساة الغلاظ الذين يستولون على الأموال بغير حق . وهذا النوع من الحكومة يقابل مدينة الخسة والشقاوة والمدينة البدالة عند الفارابي . ويليها في الدرجة الحكومة الديمقراطية ، وهذه حكومة الأغلبية ولكنها إحدى أسوأ أنواع الحكم عند أفلاطون باعتبارها حكم الغوغاء والتمادي في الحرية إلى حد الإباحية ، وهذا هو نفس الحكم الذي أطلق عليه الفارابي إسم المدينة الجماعية . وهكذا نجد شبيها كبيرا بين الحكومات الفاسدة عند أفلاطون والمدن غير الفاضلة عند الفارابي ، ولكن الفارابي لم يكتف بذكر المدن غير الفاضلة فقط كما فعل أستاذ أفلاطون بل تطرق إلي الأفراد أو المواطنين غير الفاضلين في المجتمع أيضا . وذكر أقسامهم المختلفة . وأطلق عليهم إسم (النوابت) (٣٧) فالنوابت هم عناصر هدامة في المدينة الفاضلة مثل الشوك النبات في الزرع والحشائش الضارة بالزرع

وهم أشبه بالبهائم في التصرفات والأفعال أمثال البغاة والقتلة وقطاع الطريق واللصوص وكل من يعيش على امتصاص دماء أفراد المجتمع .

وقد قسم الفارابي النوبات إلي أنواع متعددة منها: (٣٨)

أ- المقتنصون : وهم الذين وإن تمسكوا ظاهريا بالأفعال التي تنال بها السعادة الحقيقية إلا أنهم يقصدون من وراء ذلك اقتناص أهداف كاليسار أو الكرامة أو الفخر أو الرئاسة .

ب- المحرفة : وهم الذين يفسرون ويؤولون ألفاظ وأقويل واضع السنة ويحرفونها حتى يحققوا أهدافهم غير الفاضلة والقائمة علي السعادة المظنونة .

ج- المارقة : وهؤلاء لا يعرفون السنن الحقيقية كما هو الحال بالنسبة للمقتنصين ولا يحرفونها كما هو الحال بالنسبة للمحرفة ولكنهم يسيئون فهمها . وهذه المعرفة الجزئية عندهم أدت إلي انحرافهم عن مقاصد الشريعة .

د- المزيفون : وهم يعمدون إلي تزيف آراء وأقويل واضع السنة فيما بين أنفسهم أو بين غيرهم وهم على نوعين :
أ) نوع قاصد للانحراف .

ب) ونوع واقع فيه نتيجة التأويل والتخيل الخاطيء الذي يظن أنه صحيح .

هـ- الأغمار الجهال : وهم الذين لا يرون شيئا صادقا فيما يدرك فينكرون الحقائق ويؤمنون أن كل شيء غير واضح ومجهول وبالتالي لا حكم فيه ومن اعتبر نفسه قد وصل إلي الحقيقة فهو كاذب .

وقد أكد الفارابي على ضرورة أن يولي الحاكم النوبات اهتماما كبيرا حتى يتخلص منهم : إما باصلاحهم وباستيعابهم

أو بعقاب من لا يجدي فيه الإصلاح بالحبس أو نفيه كلية عن المدينة الفاضلة .

خصائص الفكر السياسي للفارابي:

ومما سبق لاحظنا أن الآراء السياسية لفارابي كانت انعكاسا للفلسفة اليونانية . فقد قلّد الفارابي أفلاطون في نظريته عن (المدينة الفاضلة) والحاكم الفيلسوف ونظام التراتب الإجتماعي وكذلك أرسطو في نظريته عن السعادة . كما تأثر بالطابع الأخلاقي للفلسفة السياسية اليونانية . فربط فلسفته السياسية بالأخلاق وجعلها محورا لأفكاره السياسية . وأكد على قيم أخلاقية وفضائل معنوية بإعتبارها غاية يسعى إلي تحقيقها الاجتماع الإنساني . وبذلك تتفق الفلسفة اليونانية مع الإسلام حيث أنه يهتم بالأخلاق اهتماما بالغا ويعتبره هدفا أسمى لحياة كل مسلم . والذي يؤيد ذلك ما ورد في الحديث الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم غاية بعثته فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٣٩) .

لقد حاول الفارابي باعتباره مفكرا مسلما صبغ الأفكار السياسية اليونانية بصبغة إسلامية وأعاد صياغتها في إطار إسلامي ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يأتي :

(١) إن الهدف من الاجتماع السياسي عند الفارابي ليس إشباعا للحاجات الإنسانية كما رأى أفلاطون وإنما هو تحقيق الكمالات التي تحقق له السعادة وذلك باقتناء الفضائل المختلفة وهذه السعادة ليست دنيوية فحسب بل هي أخروية أيضا . وبهذا الشكل يستطيع القارئ أن يلمس بكل سهولة اتجاهها روحيا ودينيا في ثنايا أفكاره .

(٢) يؤكد الفارابي في فلسفته على السعادة الحقيقية التي هي

عبارة عن جميع الفضائل المعنوية ويعتبر الشهوات الحسية واللذات البهيمية من (السعادة المظنونة) التي يجب أن تبتعد عنها الدولة الفاضلة والمجتمع الفاضل . وهذه الرؤية عن السعادة رؤية دينية بحتة تجدد صداها في عدة آيات من القرآن الكريم تدم اتباع الهوى والانغماس في اللذات والشهوات الحسية .

(٣) يلاحظ القارئ عوامل دينية في تقسيم الفارابي للمدينة إلى فاضلة وغير فاضلة . وذلك أن المدينة الفاضلة لا يمكن تصور وجودها إلا في السياق الزمني لظهور الإسلام أي في عصر النبوة الإسلامية ، وعلى هذا تكون أصدادها في خلال نفس العصر الإسلامي مدناً تعلم الحق أي وصلتها الدعوة الإسلامية ولكنها تصر على حياة الفسق والضلال . وربما قصد بالمدينة الفاسقة المعتزلة وبالمبتدلة أهل الردة وأهل المجون والخلاعة الذين فسدت اعتقاداتهم . والمدينة الضالة تنطبق أوصافها على أصحاب الدعاوي المضللة من دهرية جاحدين للصانع أو باطنية تزعم أن لأئمتها صفة التأله . أما المدن الجاهلة فتتنطبق شروطها على العصر الجاهلي على الإسلام لأن أهلها لم يكونوا يعرفون شيئاً عن دعوة الحق وكانت سعادتهم تكمن إما في إشباع الحاجات الأساسية من مأكّل ومشرب ومسكن أو في بلوغ اليسار والثروة أو في الشهرة والإعجاب بالنفس أو في استعباد الآخرين ، وبذلك يشير إلى ما كان عليه المجتمع الجاهلي من الصفات .

(٤) يخلع الفارابي على الحاكم معان دينية ويربط بين الحاكم كفيلسوف وبينه كنبى ، فالنبى والحكيم في رأيه هما

الشخصان الصالحان لرئاسة المدينة الفاضلة وكلاهما يحظي في الواقع بالاتصال بالعقل الفعال وهو الصانع والمدبر للكون .

(٥) لقد قسم الفارابي الطبقات الاجتماعية في المدينة الفاضلة إلى خمس طبقات وهي : الأفاضل وذووا الألسنة والمقدرون والمجاهدون والماليون . فذكر حملة الدين من ضمن الأفاضل الذين يجذب الفارابي أن يحكموا الدولة . ومن هنا تتبين الأهمية التي يعطيها الفارابي للعلماء . ونخلص من ذلك إلى أن الفارابي قد استفاد من الفلسفة اليونانية ولكن صبها في قالب إسلامي فأسبغ عليها القيم والمبادئ التي وردت في القرآن والسنة الشريفة .

مصادر ومراجع

(١) حنا الفاخوري وخليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ط : بيروت ١٩٥٨ م ، ج ٢ ، ص ٩١-٩٢ .

2) William Ebenstien , Great Political Thinkers
Plato to the present . Third Edition, New York Half
Rinerhart and Winston, 1965 , P II

(٣) ابو النصر الفارابي ، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، تحقيق : الدكتور بيرنادر ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٩ م .

(٤) أبو النصر الفارابي ، تحصيل السعادة ، تحقيق وتقديم وتعليق د . جعفر آل ياسين ، بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٨١ م .

(٥) الفارابي ، السياسة المدنية ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٤ م .

(٦) الفارابي ، فصول منتزعة ، تحقيق / د . فوزي متري نجار ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٨١ م .

(٧) أرسطو طاليس ، السياسة ، ترجمة : أحمد لطفي السيد ، القاهرة ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٩م ، الكتاب الأول ، الباب الأول ، الفقرة ٧ ،
ص ٩٥ .

- (٨) الفارابي آراء أهل المدينة الفاضلة ، المرجع السابق ص ٧٨ .
(٩) دكتورة حورية توفيق مجاهد ، الفكر السياسي من أفلاطون الى محمد عبده ،
مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٦م ، ص ١٨٧ .
(١٠) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد علي
صبيح ، ص ٧٢ .
(١١) نفس المصدر ، ص ٦١ .
(١٢) الفارابي ، السياسة المدنية ، المرجع السابق ص ٧٨ .
(١٣) سورة الكهف الآية : ١٠٣ - ١٠٤ .
(١٤) سورة الكهف الآية : ٢٨ .

15) Plato : The Republic of Plato - 4th Edition , Ox-
ford University Press, Fair Lawn N.J.-1958

- (١٦) الفارابي ، تحصيل السعادة ، المرجع السابق ، ص ٤١ .
(١٧) الفارابي ، السياسة المدنية ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .
(١٨) The Republic of Plat, P.21
(١٩) نفس المصدر .
(٢٠) نفس المصدر .
(٢١) الفارابي ، فصول متنزعة ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .
(٢٢) الفارابي ، السياسة المدنية ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .
(٢٣) Plat, The Republic of Plato, P.24
(٢٤) نفس المصدر .

George, H. Sabine : A History of Political Theory 3rd (٢٥
Edition, New York , 1961 , P.55

(٢٦) نفس المصدر .

- (٢٧) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٨١ .
- (٢٨) نفس المصدر .
- (٢٩) الفارابي ، تحصيل السعادة ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .
- (٣٠) The Republic of Plato, P.30
- (٣١) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٨٠ .
- (٣٢) نفس المصدر ، ص ٨٤ .
- (٣٣) نفس المصدر .
- (٣٤) سورة القصص الآية : ٢٨ .
- (٣٥) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .
- (٣٦) Earnest Baker, The Political thought of Plato and Aristole, new York, Dover Publication, 1957, P.172.
- (٣٧) الفارابي ، السياسات المدنية ، ص ٥٧ .
- (٣٨) نفس المصدر ، ص ٥٧ - ٥٩ .
- (٣٩) المؤطا كتاب حسن الخلق ، حديث رقم ٨ ، الجزء الأول ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٧ م .